ماله الى المذهب يرسب السفلوس الذي في الحرير الصناعي واما الحرير الطبيعي فلا يرسب منهُ شيءٌ

وحتى الآن لم يكثر استعمال الحرير الصناعي في المنسوجات التي تصنع الثياب منها لقلة متانتهِ ولكن كثر استعمالهُ في المنسوجات التي تستعمل للفرش والستائر وفي الشرائط المختلفة لرخص ثمنهِ وشدة لمانهِ

ويظهر لنا ان بعض جالبي المنسوجات من اوربا يجلبون منسوجات كلها او بعضها من الحرير الصناعي ويبيعونها كأنها حرير طبيعي فيخدعون المشترين . ويحق للمشترين ان يطلبوا من الحكومة ان تفتش عن المنسوجات وتجبر باعتها ان يعلنوا حقيقتها

الشيخ ابرهيم اليازجي اللبناني

(٣) المحسنون

لما كانت المطبعة الاميركية في بيروت من اول آثار صنائع الغرب في الشرق وكان والدهُ مصححاً لمطبوعاتها استمالهُ الى الصناعة وروت مجلة الهلال انهُ حضر معدات روزنامة كانت اول ما صدر بالعربية من نوعها وتنبه الى وضع الحروف واتقن الخط والتصوير الشمسي والتصوير بالالوان الزيتية وبلغ من تأنقهِ في ذلك انهُ صوَّر ذاتهُ في المرآة وصوَّر والدهُ وبعض اخوتهِ والطبيب يوسف الجلخ وغيرهم وكان ماهراً بالضرب على الآلات الموسيقية

وكان فوق ذلك شقيقهُ الشيخ نصار حاذقاً بصناعة الصياغة والمترجم يختلف اليهِ ويساعدهُ في الرسم والنقش وما شاكل كما الهما الى ذلك فبرع في الحفر . ومن ابتكاراتهِ بهذه الصناعة وضعهُ حرفاً جديداً للطبع لا يتجاوز عدد صورهِ الاصلية اثنين وستين صورة وانواعها مائة لا غير مع ان الحروف العادية يتجاوز عدد صورها مائتين وخمسين شكلاً وانواعها نحو الف ومائتين واذا كانت الحروف مشكلة بلغت الفاً وست مائة نوع الى ما فوق وفي ذلك ما فيهِ من الاقتصاد . وقد نشر اعلانات بهذا الحرف في جريدتي لسان الحال والاحوال وطبع بهِ شرح كتابهِ نخبة الرائد الذي نشر معظم الجزء الاول منهُ بالمطبعة الادبية قبل مغادرتهِ لسورية سنة ١٨٩٤ فاحترق بنكبة تلك المطبعة وهو في اوربا ثم اهمل هذا الحرف لعدم اقبالنا على الجديد

وسنة ١٨٨٦ كانت حروف المطابع العربية في سورية محصورة بالجنس الاميركي فقط

فاتفق المترجم مع جناب الصحافي الفيلسوف عزتلو خليل افندي سركيس على ان يصنع لمطبعته الادبية الحرف الاسلامبولي على اختلاف اشكاله فصنع اولاً الجنسيق الاول والثاني ثم تطرّق الى سائر الحروف كالحرف المثلث الاكبر والسمنيك والثاني والغاروصي الثالث والثاني والاول فكان سبك تلك المطبعة اول ما سبك اكبر حرف بالعربية بل اول ما سبك الحرف الغاروصي للطباعة بانواعه الثلاثة وكلها شائعة الآن في سورية ومصر . ولما حلّ القاهرة عمل حرفاً متوسط القياس بين الحروف الكبرى والصغرى يعرف بحرف (بنط ٣٠) شاع سبكه بمصر وهو الذي طبع به مجلتي البيان والضياء وكثيراً من الكتب

وقد وضع الروم اي الحركات المتداخلة لفظ الحروف الافرنجية واستعملها في الضياء الى غير ذلك مما يشهد بحذقه في الصناعة وانهُ لم يكن دون حذقه بالمعارف

الخاتمة

هذا هو الشيخ ابرهيم اليازجي المشهور بطيب الخلائق وفكاهة المجالسة كان كاتباً شاعراً مؤلفاً مصوّراً موسيقياً حفّاراً وفوق ذلك كان واسع الاطلاع في علم الفلك ولهُ مباحثات ومناقشات مع المسيو فلاماريون الفلكي الفرنسي وغيره فانتدبتهُ الجمعيّات الفلكيات في باريس وأنفرس والجمعية الفلكية الجوية في سلقادور عضواً فيها . وكان يعرّب عن الفرنسية ولهُ إلمام بالعبرية والسريانية ومشاركات في كثير من العلوم العصريّة كما يظهر من مطالعة مقالاته في مجلة الضياء التي تفرّد بانشائها . ودرس العلوم الفقهيّة واتقن صناعة التدريس واكثر الفائه كان في المدرسة البطريركية الكاثوليكية في بيروت . وقد افاد اللغة العربيّة واحياها باوضاعه فكان اشبه ببوستر الاميركي وفيلون وليثره الفرنسيين حتى عمّ استعمال اساليبه واوضاعه فتحذاها الكتّاب ونسجوا على منوالها وهي من السهل الممتنع نثراً ونظماً . ولقد اشبه فكتور هيكو بسلاسة يراعه ومقدرته التعبيريّة ونكتهُ خالفهُ بعدم ثقته بنفسه وكان يحب الاجتماعات فلذلك لم يتسنَّ لهُ الاعتزال والانفراد بنفسه والتفرغ للتأليف حتى انهُ لكثرة زائريه طلب مرة من الخواجه فرعون أجرهُ ان يبني لهُ غرفة داخلية فاعتزل فيها مدة ورضع اللجمة وبعض ذلك مجمعه وغير ذلك . وقد اجتمعت به قبل مزايلته سورية بضع سنوات وحضرت مجالسهُ وسمعت احاديثهُ وشهدت اشتغالهُ بالتدريس والتأليف . وجلّ ما امتازبه الجلد على العمل والمراجعة وايراد النكات البديعة والفوائد الرائقة والتواضع والبرّ بوالده . ومما يحضرني من فكاهاته انهُ سمع مرة ان شاعراً عرض على خصمه في مجلس حافل لغزاً بالسكين لجملهِ فينال مجلهِ من التشفي ما ينال فنطن ذاك الى مراده وسلّهُ بقوله ان

معناهُ بقلب الشاعر » فقال المترجم اردتُ ان تكون هذه الفقرة شعرًا لا نثرًا. فقال لهُ الحاضرون وكيف يتخلّص الناظم من ذلك فقال ارتجالاً يمكنهُ ان يقول :

تخلّتْ لزكمْ ولستُ بشاعرٍ فوجدتُ معناهُ بقلب الشاعرِ

وارتجالاتهُ قليلة يحضرني منها قولهُ في مجلس طرب بظاهر بيروت كان فيهِ في محلة (الخاصة) هو ونفر من اصحابهِ فدخل عليهم بغتة محمد حالت باشا والي سورية سنة ١٨٧٣ فبادرهُ بقولهِ :

شمل الوزيرُ عبيدهُ بوجودهِ شرفًا وخصّهمُ بنائل جودهِ
في حسن روضٍ قد تسلسل ماؤهُ كسوالهِ واخضرَّ ذابلُ عودهِ
قصفت مسرّتنا فلولا هيبةٌ منها لقد شملت نفوس عبيدهِ
لترقصوا طربًا ولكن شكرهُ سيداومون الدهر في ترديدهِ

وقولهُ في كاهن اسمهُ اكليندس كان يحب السمك :

ولربَّ محنبطٍ سألتُ عن اسمهِ فاجابني باللفز وهو قد ابتسمْ
لو زدتني قلبًا من السمك الذي أهوى اليهِ لصار اكلي من دسمْ

وعلى الجملة فان ارتجالياتهِ قليلة معدودة لأنَّ من مبادئهِ اتقان كل شيءٍ والتأنق في اخراجهِ مخرج الصحة فلم يقف خاطرًا لهذا السبب ولا ارتجل الاَّ لضرورة ماسَّة. وعندي ان ذاكرتهُ لم تكن قريبة كذاكرة المرحوم والدهِ فلهذا لم يمل الى هذين النوعين لانهما من بنات الذاكرة ومع ذلك فكان صحيح الرواية ولكنهُ قلما يثق بحفوظهِ . ومما يستحق الذكر انهُ لم ينتحل كلام غيرهِ ولا ادَّعى شيئًا لنفسهِ ولا غمط فضل فاضل بل كان يسند كل كلام او وضع الى قائلهِ وهو الانصاف. ولما توفي رصيفهُ الدكتور المرحوم بشاره زلزل بعد ان انقلبت مودتهما الوثيقة العرى عداوة شديدة وناوحتهُ في مجلتهِ ٨ : ٨٣ وفوق هذا وقفتُ لهُ على رسالة اظهر فيها كلَّ ما كتبهُ رصيفهُ المذكور من المقالات في مجلتي الطبيب والبيان حتى انهُ يعيّن كلامهُ بالاسطر والكلمات وهي مزيَّة كريمة وخلَّة فاضلة

وكان يحب انتقاء الالفاظ الفصيحة وادماجها في المعاني البليغة حتى ان صديقنا الكاتب المتفنن نجيب افندي منصور الشعلاني عرض عليهِ مرةً رواية (شجاع فينيسيا) من معرَّباتهِ فقال لهُ عنها (انها بليغة لا فصيحة) . ومع كثرة تدقيقهِ لم يخلُ كلامهُ ولاسيما في اوليهِ من تجوُّزات كما رأيت في رأيتهِ من استعمال كلمة (النوايا). ولهُ استدراك على ما فرط من مثل هذا في تصحيحهِ للتوراة نبَّه عليهِ في الضياء

وكان ولوعاً بالكمال وبلوغ الغاية في العمل كأنهُ عمل بقول فكتور هيكو عن فولتير "لو خصّصي ذكاءهُ بموضوع واحد لكان فيه غاية الغايات" وهو القائل في خطابهِ (ادب الفارس) — : "ولست ازيدكم بياناً ان العالم لا ينفع بعلمهِ الاَّ اذا كان راسخ القدم فيهِ مستبحراً لاسرارهِ ودخائلهِ محيطاً بما تشعَّب من فروعهِ ومسائلهِ وذلك مما لا ينال الاَّ بطول المزاولة وتكرار المراجعة وتفريغ الذهن لما يتوخى حفظهُ واخلاء الذرع لاحصائهِ الخ"

وكان عضواً في لجنة المعارف بولاية بيروت وفي الجمعية العلمية السورية وانتدب اكثر من مرة لنيابة مقام زحلة فأبى خشية انصرافهِ عن العلم وخدمتهِ. واول اعمالهِ الصحافية انشاء جريدة التقدم ليوسف الشلفون في بيروت سنة ١٨٧٢ م وقد قال الوسام العثماني من الدولة العلية ونوط العلوم والفنون من ملك اسوج ونروج . ومن غرر اقوالهِ الحكمية : ان التحدث في الخسارة خسارة اخرى من الوقت — اذا ارتكب الانسان الرذيلة ولم يعلم بهِ احد فاقل ما عليهِ ان يخجل من الانسانية — لا يرتقي المرء في سلَّم الكمال حتى يعرف قدر نفسهِ — من كان عدوُّهُ نفسهُ فلا يتَّهم الحوادث — من شرّ ما نقضي بهِ على المرء ان يجتمع فيهِ العجز وحب الانتقام — ومن غرر حكمهِ قولهُ

ليس الوقيعة من شأني فان عرضت أعرضتُ عنها بوجهٍ بالحياء ندي
اني أُضنُّ بعرضي ان يلمَّ بهِ غيري فهل اتولَّى خرقهُ يدي

وعلى الجملة فانهُ كان واسع الرواية قوي الحجَّة طلق اللسان متواضعاً متأنياً مدققاً صبوراً احتمل فقد والديهِ واخوتهِ الواحد اثر الآخر وابناء شقائقهِ بجلَدٍ . وبقي مسامراً الدواة والقلم والكتاب وولع في آخر ايامهِ بالتدخين في الفارجيلة الى ان استأثرت بهِ رحمة بارئهِ في ضواحي القاهرة في ٢٨ كانون الاول (دسمبر) سنة ١٩٠٧ فنعتهُ الجرائد ورثاهُ الادباء في كل قطر ونوَّحت جريدة الشام وفاتهُ تأريخاً شعرياً بقولها (ما مات الضياء) ١٣٢٤ . وكان ربعة القوام معتدل الجسم ابيض الوجه مشرقهُ جميل الطلعة رحب الجبهة . فلهذا لو اعتني بجمع آثار اقلامهِ وطبع دواوينهِ المخطوط في كتاب يضم ترجمتهُ واقوال الجرائد والادباء فيهِ والله نسأل ان يجزيهُ عن اللغة والناطقين بضادها عداد حسناتهِ في إحياء آثارها والذود عن حياضها ما قال اديب :

اليازجيُّ ابراهيم غاب ضياؤهُ عن اعين الادباء والآدابِ
ننعدهُ من اشعر الشعراء وهو بلا مراء اكتبُ الكتَّابِ

عيسى اسكندر معلوف